6-**المرابطون** : سبق وان درسنا قيام دولة المرابطين في المغرب ، والآن نتعرف عن دورهم في إنقاذ الأندلس خاصة بعد سقوط طليلة سنة 478ه/ 1085م بأيدي الأسبان وقد احدث سقوطها دوياً هائلا في المغرب والأندلس على السواء ـ فأحس ملوك الطوائف بأخطائهم الفادحة بعد فوات الأوان ، بل إن سقوط طليطلة كانت نذيراً بالنهاية المحتومة للعرب المسلمين في الاندلس.

ويبدو أن أمير قشتالة الفونسو السادس كان على علم بالاتصالات بين الأندلسيين والمرابطين فأرسل رسالة ليوسف بن تاشفين يحذره من التدخل في الأندلس ويتهدده ولكن السلطان المرابطي كان قد عقد العزم غلى انجاد الأندلس ، فرد على هذا التحدي بأن كتب له على ظهر تلك الرسالة : " الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه أذنك "

وفي سنة (479ه / 1086م) عبر يوسف بن تاشفين بجيش المرابطين من مدينة سبته الى الجزيرة الخضراء ، وحصنها واتخذها قاعدة لعملياته العسكرية ؛ وانظم اليها من رغب في الجهاد من الأندلسيين ، ومن اشبيلية توجهت نحو بطليوس في غرب الأندلس للقاء العدو ، وكان الفونسو وقتئذ يحاصر سرقسطة وحينما علم بقدوم يوسف بن تاشفين ألى الأندلس ، فك عنها الحصار وسار بجيشة الضخم حيث كان قد استنفر هو الأخر القوات من مختلف أقطار غرب اوروبا والتقى الطرفان في فحص الزلاقة إلى الشمال من بطليوس ، التي أسفرت عن انتصار المسلمين انتصارا حاسماً ـ وعدت هذه المعركة من معارك الإسلامي في الأندلس من سقوط محقق ، وكتب للأندلسيين عمراً جديداً فيها ، وثبت أقدام المرابطين في تلك البلاد ، ووحد المغرب والأندلس في ظل دولة واحدة .

نتائج معركة الزلاقة (479ه/1086م)

1. رفع شأن المرابطين أمام الرأي العام الإسلامي وصورهم في صورة المجاهدين عن الإسلام الذابين عن ثغوره .
2. حرر سرقسطة وحماها من السقوط في أيدي الأسبان وكانوا يحاصرونها قبل معركة الزلاقة .
3. النصر في هذه المعركة أحدث تغيير مفاجئاً في مجرى حركة الاسترداد التي خططها الفونسو لسادس إذ أرسل طالباً العون من أمراء الأقاليم الجنوبية لفرنسا ثم غير رأية خوفا من أن يعقد ذلك من علاقته مع ملوك الطوائف بعد عودة يوسف بن تاشفين للمغرب.
4. اسقط من قدر ملوك الطوائف في نظر رعيتهم ومهد السبيل إلى إسقاط دويلات الطوائف / ضم الأندلس الى دولة المرابطين في المغرب (الاندلس ولاية مرابطية) .

لقد ساءت احوال الأندلس بعد معركة الزلاقة بفترة حيث تمكن الفونسو السادس من استعادة قواه كذلك استمر ملوك الطوائف في صراعاتهم وخلافاتهم ثم وصلت كتباً الى يوسف بن تاشفين من قادة جيشه في الاندلس سنة (481ه) .

أقام يوسف بن تاشفين في الأندلس لفتره قصيرة حيث جدد وصاياه لملوك الطوائف ، وترك قسما من جيشه لدعم ثبات أهل الاندلس ، وعاد هو بالباقي من الجيش الى المغرب . ولكن عاد أمراء الطوائف الى خلافاتهم من جديد ، الامر الذي جعل رعاياهم يمقتوهم لما كانوا يعانونه من حكمهم ، ويتمنون الخلاص منهم وتسليم الأندلس ليوسف بن تاشفين لما لمسوه فيه من عدل ورغبة في الجهاد ،

شهدت الأندلس منذ سيطرة المرابطين عليها صراعات كثيرة فيما بينهم وبين الممالك الإسبانية بزعامة الفونوس السادس ملك قشتالة . توفي يوسف بن تاشفين سنة (500ه/ 1106م ) وخلفه ابنه على الذي سار على نهج أبيه في مواصلة جهاد الممالك الأسبانية ، وهكذا تواصل دعم المرابطين للمسلمين في الاندلس ودفاعهم عنها ، فقد احتلت مكانة مميزة في فكر سلاطين المرابطين ، إلى أن أخذت دولتهم تترنح أمام ضربات الموحدين القوية ، الأمر الذي شغلهم عنها بمواجهة هذه القوة الجديدة التي ظهرت في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى وأخذت تضغط بشدة عليهم .

كان لانشغال المرابطين بمواجهة الموحدين أثره السيئ على الاندلس ، فقد استغلت الممالك الأسبانية هذا الوضع خلال الفترة الانتقالية بين عهدي الدولتين وبعد صراع مرير بين المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس طويت صفحة دولة المرابطين ، لتحل محلها دولة الموحدين التي خلقتها في النهوض بأعباء الجهاد في الأندلس (540-632ه/1145-1233م).

* الموحدون والعسكري في الأندلس (540632ه/ 1145-1233م)

سبق وأن تم دراسة ظهور الدعوة الموحدية في المغرب ثم تأسيس دولتهم بعد زوال دولة المرابطين من المغرب والأندلس .

عبر عبد المؤمن بن علي على الموحدي مضيق جبل طارق الى الاندلس سنة (555ه/1160م) وعسكر في المدينة الجديدة (جبل طارق) حيث أخذ يشرف بنفسه على ترتيب أوضاع الأندلس استعدادً للمعركة القادمة ضد الممالك الإسبانية ، وبعد تكامل الاستعدادات خرج من مراكش على رأس جيش ضخم في سنة (558ه- 1163م) قاصداً الأندلس ولكنه حينما وصل مدينة الرباط توفي ولم يكن في وسع ابنه وخليفته ابو يعقوب يوسف المضي قدما في تنفيذ مشروع أبيه الجهادي قبل الاطمئنان على استقرار الوضع في المغرب .

وبعد وفاة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، بدأت فتنه كبرى في الاندلس نزعمها محمد بن سعد بن مردنيش ضد الموحدين بالتعاون مع الممالك الإسبانية لذلك قام ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي بتوجيه جيش إلى الأندلس سنة (560ه/ 1165م) للقضاء على هذه الفتنة في معركة فحص الجلاب جنوب مرسيه أسفرت على انتصار الجيش الموحدي ولكن ذلك لم يكن نهاية متاعب الموحدين.

معركة الاراك ( 591ه/1195م)

اخذ الفونسو الثامن ملك قشتالة يشن الهجمات المتلاحقة على الأندلسيين شرقا وغربا في آن واحد ، وحينما علم المنصور سار بمجموعة ونزل في حصن الأرك على الحدود بين قشتالة وأرض المسلمين والتي أسفرت عن انتصار الجيش الموحدي انتصاراً حاسماً ، وفتح حصن الأرك ، وتكبيد الفونسو الثامن الذي فر إلى طليطلة بخسارة فادحة وقد شبه العديد من المؤرخين هذا الانتصار بانتصار يوسف بن تاشفين على الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة (479ه/ 1086م) الأمر الذي اضطر الملك القشتالي إلى عقد هدنه مع الخليفة الموحدي لمدة عشر سنوات .

معركة العقاب (609ه/1212م)

أنتهز الفونسو الثامن فرصة وفاة المنصور الموحدي وما أعقب وفاته من مشاكل في إفريقية وانشغل بها الناصر الخليفة الجديد عن الأندلس ، وأخذ يعد العدة للثار لهزيمته في معركة الأرك ، فحشد قوات كبيرة أخذ يهاجم بها المسلمين ، منذ سنة (606ه/1209م) وقبل انهاء مدة الهدنة التي عقدت بينه وبين الموحدين ولما اشتد ضغطهما على المسلمين توجه الناصر الموحدي بجيش ضخم عبر به الى الاندلس سنة (607 ه/ 1211م) حيث التقى الفريقان في معركة طاحنة في (14 صفر 609ه / 16 تموز 1212م) عرفت بمعركة العقاب أسفرت عن هزيمة منكرة للمسلمين ، كان من أهم نتائجها زعزعة مكانه الموحدين في الاندلس ، اذ لم يقوى بعدها على الوقوف في وجه الممالك الأسبانية وردع أعمالهم العدوانية ، بل يمكن القول أن هذه الهزيمة كانت بداية نهاية الوجود الموحدي في الأندلس ، وليس ذلك فحسب ، بل بداية النهاية للدولة الموحدية نفسها ، فنشط الفونسو الثامن في قطف ثمرة انتصاره في هذه المعركة ، وأخذ يهاجم الأندلس بشكل متواصل وبدون مقاومة ، فاستولى على بعض المدن والحصون ، وأما الخليفة الناصر فعاد بعد هذه الهزيمة الى مراكش حيث توفي (610ه/ 1213م) وبدأ نجم الدولة الموحدية بالافول ، فاخذت تسير الا الانحلال بخطى سريعة ، وانشغلت بنفسها على الجبهة الأندلسية.